قرة العين في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

إعداد الدكتورة
رواء عبد القادر صادق خضر
أستاذ مساعد
قسم الدراسات القرآنية التفسير وعلوم القرآن
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة طيبة
المملكة العربية السعودية

قرة العين في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

رواء عبد القادر صادق خضر
قسم الدراسات القرآنية التفسير وعلوم القرآن- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة طيبة -المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني:rawaa٥٦٠@hotmail.com

الملخص:

تبرز أهمية هذا البحث من خلال الرغبة في الوقوف على مواضع قرة العين في القرآن الكريم، وإظهار الهدايات والدلالات من الآيات، وتلبية حاجة الناس المعاصرة في بيان الصورة المتكاملة، وإبراز المعاني العميقة في كتاب الله تعالى، ودلالات الورود في السياق القرآني.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي، والتحليلي الذي يقوم على تتبع المواضع التي وردت فيها (قرة العين) في القرآن الكريم، والكشف عن معانيها ضمن السياق القرآني الذي وردت فيه، ومن ثم تحليل الموضوعات، ودراستها دراسة موضوعية.

تبين من خلال هذه الدراسة أن "قرة العين" في القران الكريم ورد ذكرها في سبعة مواضع، كلها في سور مكية ما عدا موضع سورة الأحزاب فهي مدنية. لم ترد (قرة العين) في قصص القران الكريم إلا في قصتي موسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، وزوجات النبي رضي الله عنهن جميعاً.

وقد وردت (قرة العين) بفتح التاء مرة واحدة في موضع سورة القصص، ﴿ قرت عين لي ولك لا تقتلوه ﴾ لأنها جاءت في هذا الموضع بمعنى الفعل. كما أن

"قرة العين" في الصلاة لم ترد في القرآن الكريم، بل جاءت في حديث واحد من أحاديث النبي ﷺ، ولوجود معناها في القران الكريم رأيت إضافتها في هذا البحث.

ارتباط "قرة العين" بالحزن في أغلب المواضع، دليل على أن انشغال القلب واحزنه يمنع من استقرار العين وسكونها.

توصي الباحثة الباحثين أن يتناولوا آيات "قرة العين في القرآن الكريم"، ويقفوا مع أسرار التعبير بها، وما تحملها من دلالات تربوية، ونكات بيانية، وأن يكشفوا عن آثارها وتأثيرها في حياة المسلمين.

الكلمات المفتاحية: قرة العين ،القرآن الكريم، دراسة، موضوعية.

The Term (Qurrat Al-Ayn) in the Holy Quran: An Analytical Study

Rawaa Abd Al-Qader Sadiq Khudr

Department of Qur'anic Studies (Exegesis and Qur'anic Sciences)-Faculty of Arts and Humanities - Taibah University

Kingdom of Saudi ArabiaEmail: rawaa٥٦٠@hotmail.com

Abstract:

The importance of this research lies in its aim to examine the occurrences of the expression (Qurrat Al-Ayn) in the Holy Quran, to uncover the divine guidance and meanings embedded in these verses, to respond to contemporary needs for a holistic understanding of the Quranic message, and to highlight the profound spiritual and linguistic dimensions of this phrase within its Quranic context.The study adopts an inductive and analytical methodology, based on tracing all instances where Qurrat Al-Ayn is mentioned in the Quran, identifying its meanings within the specific contexts in which it appears, and then analyzing these occurrences through an objective thematic approach.The findings reveal that the term Qurrat Al-Ayn appears seven times in the Quran , all in Meccan surahs except for one instance in Surat Al-Ahzab, which is Medinan. The expression appears in the Quranic narratives only in connection with the stories of Moses ,Jesus , and the wives of the Prophet (may Allah be pleased with them all).The form “qurrat” (with an open ta) occurs only once, in Surat Al-Qasas , “a joy of the eye for me and for you; do not kill him” ,where it carries the sense of a verb. The term Qurrat Al-Ayn did not accompany “prayer” in the Quran, but it is mentioned in a single Hadith of the Prophet Peace Be Upon Him . However, due to its close meaning and relevance, it has been included in this study.The association between “Qurrat Al-Ayn” and grief in most of its Quranic occurrences indicates that a heart preoccupied with sorrow cannot attain peace or tranquility of the eyes.The researcher recommends that future scholars explore the verses concerning Qurrat Al-Ayn in the Quran, delving into the subtleties of their expression, their educational implications, and their rhetorical beauty, as well as their spiritual impact on the lives of Muslims.

Keywords: Qurrat Al-Ayn , Holy Quran, Analytical Study, Thematic Approach.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،،

فلقد جعل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم للأدواء شفاء، وللصدور جلاء، وإن خير القلوب قلب واع للقرآن الكريم، وخير الألسنة لسان يتلوه، وخير البيوت بيت يكون فيه، فهو النور المبين الذي لا يشبهه نور، والبرهان المستبين الذي ترتقي به النفوس وتنشرح به الصدور.

ولقد أمر الله تعالى عباده أن يتفكروا ويتدبروا في معاني وكلمات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

فتفسير كتاب الله تعالى مهما اختلفت أنواعه، وتنوعت مناهجه فهو محاولة لتدبر القرآن الكريم، وفهم مراد الله تعالى، وبيان كلامه، وتقديمه للناس، لتصل لهم تلك المعاني فتعيها قلوبهم، وتفهمها عقولهم، وما جهود علماء التفسير على مر العصور إلا لهذا الغرض.

والتفسير الموضوعي هو أحد ألوان التفسير الذي يتعمق فيه الفكر، ويحتاج إلى التدبر والتمعن لربط معاني الموضوع بعضها ببعض، والمنهج في دراسته يختلف بحسب نوعه، وقد اخترت في بحثي هذا دراسة موضوعية لمعنى (قرة العين في القرآن الكريم)، متتبعة المواضع التي جاءت فيها (قرة العين)، مبينة تفسيرها في سياقها، وأهم الاستنباطات والدلالات في الآيات، ومن ثم دراسة الموضوع دراسة موضوعية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية الموضوع في صلته المباشرة بكتاب الله تعالى، ومحاولة فهم أحد المعاني التي وردت في القرآن الكريم بصورة موضوعية متكاملة، وربط هذا المعنى في واقع حياتنا المعاصرة.

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع:

١- لم أجد دراسة موضوعية بهذا المعنى – قرة العين- في القرآن الكريم.

٢- الرغبة في الوقوف على مواضع قرة العين في القرآن الكريم، وإظهار الهدايات والدلالات من الآيات.

٣- تلبية حاجة الناس المعاصرة في بيان الصورة المتكاملة، وإبراز المعاني العميقة في كتاب الله تعالى، ودلالات الورود في السياق القرآني.

منهجية البحث:

اتبعت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي والتحليلي والموضوعي، الذي يقوم على تتبع المواضع التي وردت فيها (قرة العين) في القرآن الكريم، والكشف عن معانيها ضمن السياق القرآني الذي وردت فيه، ومن ثم تحليل الموضوعات ودراستها دراسة موضوعية.

خطة البحث:

قسمت بحثي إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وفهارس.

المقدمة، وفيها أهمية الموضوع ومنهج البحث وخطته.

التمهيد، ويشتمل على بيان مفهوم قرة العين، وعدد المواضع التي ذكرت في القرآن الكريم.

المبحث الأول: قرة العين في قصص الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الأول: قرة عين أم موسى عليه السلام.

المطلب الثاني: قرة عين السيدة مريم أم عيسى عليهما السلام.

المطلب الثالث: قرة أعين زوجات النبي ﷺ.

المطلب الرابع: الحزن وعلاقته بقرة العين.

المبحث الثاني: قرة العين، دلالات وهدايات.

المطلب الأول: مشروعية طلب قرة العين في الدعاء.

المطلب الثاني: قرة الأعين في الجنة.

المطلب الثالث: قرة العين في الصلاة.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث، والتوصيات.

الفهارس وتشتمل على: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات

التمهيد

تعريف قرة العين

أولاً: معنى قرة:

عند النظر في معنى (قرة) نجد أنها تدور في اللغة حول معنيين:

الأول: البرد: اليوم البارد، وليلة قَرَّةٌ وَقَارَّةٌ أي: باردة، ورجل قرير العين، وقد قرت عينه تقر وتقر: نقيض سخنت، فللسرور دمعة باردة، وللحزن دمعة حارة، ولذلك يقال لمن يدعى عليه: أسخن الله عينه، والقرور: الماء البارد يغتسل به: يقال منه اقتررت، وقال بعضهم: قرت عينه مأخوذ من القرور، وهو الدمع البارد يخرج مع الفرح، وذلك أن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها قارا أي بارداً⁽¹⁾.

الثاني: التمكن والاستقرار، يقال قر واستقر، والقرار: المستقر من الأرض، قرَّ بالمكان يقر، بالكسر والفتح، قرارا وقرورا وقرا وتقرة: ثبت، وسكن⁽²⁾، وفي حديث ابن مسعود: (قارُّوا الصلاة يقول: اسكنوا اطمئنوا)⁽³⁾، هو من القرار لا من الوقار، ومعناه السكون، أي اسكنوا فيها ولا تتحركوا ولا تعبثوا⁽⁴⁾.

ويوم القِرّ: اليوم الذي يلي عيد النحر؛ لأن الناس يقرّون في منازلهم، فهو من القرار، وهو الهدوء؛ لأنهم قد فرغوا من طواف الإفاضة والنحر فاستراحوا وقروا،

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري، (٨/ ٢٢٩)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فاس، (٥/٧)، والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي، (٦/ ١٢١)، ولسان العرب لابن منظور، (٥/ ٤٨).

(٢) ينظر: الصحاح للجوهري، ٧٨٨/٢ وما بعدها، (مادة: قرر)/ القاموس المحيط، ٤٦١/١، (باب الراء، فصل القاف).

(٣) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" رقم ٩٣٤٣، وقال الهيثمي في الفوائد ومنبع الزوائد، ١٣٦/٢ رقم ٢٨١٧: (رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح).

(٤) ينظر: غريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم، (٤/ ٧٤)، وغريب الحديث لابن الجوزي، (٢/ ٢٣١)، والفائق في غريب الحديث والأثر للزمخشري، (٣/ ١٨١).

وقيل: لأنهم يقرّون بمنى؛ أي: يسكنون ويقيمون(١)؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»(٢)، وقررت به عيناً، وقررت به عيناً قرة وقرورا فيهما(٣).

ويشهد للمعنى الثاني: قوله تعالى:﴿ تدور أعينهم كٱلذي يغشىٰ عليه من ٱلموتۖ ﴾ [الأحزاب:١٩].

بينت الآية الكريمة أن ثبات العين وهدوئها يقابله: اضطراب العين عند حضور الموت، وعند شدة الخوف، فمن صفات هؤلاء المنافقين الجبن والخور، فإذا اشتد القتال، وحمي الوطيس، يراهم الناظر يقلبون أعينهم يميناً ويساراً؛ بينما أهل الإيمان أعطاهم الله ما يسكن به أعينهم من الثبات، والصبر، فلا تطمح إلى غيره.

فالجملة تصوير هيئة نظرهم كالخائف المذعور الذي يُحْدِقُ بعينيه إِلَى جِهَاتٍ يَحْذَرُ أَنْ تَأْتِيَهُ الْمَصَائِبُ مِنْ إِحْدَاهَا، فكأن أَعْيُنُهُمْ تَضْطَرِبُ فِي أَجْفَانِهَا كَحَرَكَةِ الْجِسْمِ الدَّائِرَةِ مِنْ سُرْعَةٍ تَنَقُّلُهَا مُحَمْلِقَةٍ إِلَى الْجِهَاتِ الْمُحِيطَةِ(٤).

---

(١) ينظر: معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود للخطابي، (٢/ ١٥٧)، وشرح صحيح البخارى لابن بطال، (٤/ ٤١٠)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر آبادي، (٥/ ١٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، بَابٌ فِي الْهَدْيِ إِذَا عَطِبَ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ، (٢/ ١٤٨ رقم ١٧٦٥)، وأحمد في مسنده، ٤٢٧/٣١، (مسند الكوفيين، حديث عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ)، (٤٢٧/٣١ رقم ١٩٠٧٥)، وقال الحاكم في "المستدرك على الصحيحين"، (٤/ ٢٤٦ رقم ٧٥٢٢)، "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي".

(٣) ينظر: لسان العرب، ٨٢/٥، وما بعدها (حرف الراء، فصل القاف).

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، (١٤/ ١٥٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور، (٢١/ ٢٩٧).

قال الإمام الماوردي: ({تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيهِ مِنَ الْمَوتِ} يحتمل وجهين: أحدهما: تدور أعينهم لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر إلى جهة. الثاني: تدور أعينهم لشدة خوفهم حذراً أن يأتيهم القتل من كل جهة)(١). أ.هـ.

ثانياً: معنى العين:

العين والياء والنون أصل واحد صحيح يدل على حاسة البصر والرؤية، ثم يشتق منه، وتجمع على أعين وعيون وأعيان.(٢)

وقد ورد ذكر العين في القرآن على خمسة أوجه:

أحدها: العين الباصرة، ومنه قوله تعالى ﴿ أم لهم أعين يبصرون بها ﴾ [الأعراف:١٩٥]، وقوله: ﴿ألم نجعل لهُ عينين ﴾[البلد:٨](٣).

والثاني: منبع الماء الجاري، ومنه قوله تعالى:(فٱنفجرت منه ٱثنتا عشرة عينا) [البقرة:٦٠] أي: عينين يبصر بهما (٤).

والثالث: الحفظ، ومنه قوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا ﴾[القمر:١٤] أي: تجري بمرأى منا وحفظ.

---

(١) النكت والعيون، (٤/ ٣٨٥).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، ١٩٩/٤ (مادة عين) / لسان العرب، ٣٠١/١٣ (حرف النون، فصل العين المهملة).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (٥/ ٣١٣)، والبحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، (٤٨٢/١٠).

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري، (٢٢/ ٥٨١)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، (٤/ ٣٢٣).

والرابع: المنظر، ومنه قوله: ﴿قالوا فأتوا بهۦ علىٰ أعين ٱلناس ﴾ [الأنبياء:٦١]، أي: بمنظر منهم تقول العرب إِذا أُظهر الأمر وشُهر: كان ذلك على أعين الناس. (١).

والخامس: القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ [الكهف:١٠١] أي: قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره، والاهتداء به، وهذا الغطاء للقلب أولا، ثم يسري منه إلى العين (٢).

وزاد بعضهم وجها سادساً فقال: والعين: النهر، ومنه قوله تعالى:﴿عينا يشرب بها عباد ٱلله﴾ [الإنسان:٦](٣).

ومنهم من اقتصر على وجهين، وهي العين الباصرة، والحفظ(٤).

تعريف قرة العين:

قرة العين، مركب إضافي من كلمتين، وقد ورد معناه في كتب اللغة، بقولهم: أقر الله عينه، أي أعطاه حتى تقر عينه فلا تطمح إلى من هو فوقه(٥)، وقيل: أقر

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، (٤/ ٨٧)، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، (٣/ ١٩٥).

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، (١/ ٤٧٥)، وتفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، (١/ ٣٦٨).

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي، ١/٤٤٤، وتفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، (٨/ ٢٩٨).

(٤) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، ١/٣٥٦.

(٥) ينظر: الصحاح للجوهري، ٢/٧٨٨ وما بعدها، (مادة: قرر) / لسان العرب، ٥/٨٢، وما بعدها (حرف الراء، فصل القاف).

الله عينه أنام الله عينه، والمعنى صادف سروراً يذهب سهره فينام أو برداً ينزل على قلبه فيلطف البلوى، والهم(١).

وليس هناك خلاف ظاهر فيما ذكر، فالمراد بأن قرة العين: أن العين نفسها عند حصول الفرح والسرور تكون باردة بروداً حسياً حقيقياً، حتى إن القلب يسكن ويستقر ويهتدي عند الرضا والإيمان، ويشعر بالبرد والسكينة والاستقرار مقابل فرح وسرور وراحة أدت إلى قدرته على إغماض عينه بكل هدوء وقرار.

ومن المعروف أن دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن، فمن هذا يقال أقر الله عينك وأسخن الله عين العدو(٢).

مواضع قرة العين في القران الكريم:

وردت (قرة العين) في القرآن الكريم في سبعة مواضع، كلها في سور مكية ما عدا

موضع سورة الأحزاب فهي مدنية(٣)، وجاءت في العبارات الآتية: [وقَرِّي عينا – تَقَرَّ عينها – قُرَّةِ أعين – قُرَّتُ عين – تَقَرَّ أعينهن].

فجاء بصيغة المضارع في "ثلاثة مواضع" هي: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ٤٠﴾[طه:٤٠] وقوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ١٣﴾[القصص:١٣]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ ٥١﴾ [الأحزاب:٥١]ﭐلٓمٓ

---

(١) لسان العرب، ٨٢/٥، وما بعدها (حرف الراء، فصل القاف).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤/ ٢٢٢).

(٣) وهي بحسب ترتيب ورودها في المصحف: [مريم:٢٦] [طه:٤٠] [الفرقان:٧٤] [القصص:٩] [القصص:١٣]. [السجدة:١٧] [الأحزاب:٥١] .

وبصيغة الأمر في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ٢٦﴾[مريم:٢٦].

وجاء في باقي المواضع بصيغة الاسم أو المصدر(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[الفرقان:٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾[القصص:٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[السجدة:١٧].

ومما يلاحظ فيها:

١- أن كلمة (عين) جاءت مفردة في جميع الحالات إلا في حالتين: الأولى: الدعاء بصلاح الأزواج والذرية، والثانية: نعيم الجنة، فجمعت جمع قلة على (أعين)، وقد ذكر بعض المفسرين في ذلك توجيهاً؛ فهي جمعت على (أعين) ولم تجمع على (عيون)؛ لأن (الأعين) جمعاً للعين الباصرة، و(العيون) جمعاً للعين الجارية في جميع القرآن الكريم.(٢)

أو لأنه أراد أعين المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور }[سبأ:١٣]، ويجوز أن يقال في تنكير أَعْيُنٍ أنها أعين خاصة، وهي أعين المتقين(٣).

---

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٥٤٢، ط: دار الحديث، ١٣٦٤هـ.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٦/ ٢٣١)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، ٥٢/١٠.

(٣) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، (٣/ ٢٩٦).

ومن اللطائف التي ذكرت في هاتين الآيتين: أن (أعين) في قوله تعالى: ﴿ ربنا هب لنا من أزوٰجنا وذريٰتنا قرة أعين﴾ [الفرقان:٧٤] جاءت بالتنكير مع أن المراد بها أعين القائلين وهي معينة، لقصد تنكير المضاف للتعظيم وهو لا يكون بدون تنكير المضاف إليه كأنه قيل: هب لنا منهم سروراً وفرحاً(١)، وفي قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾[السجدة:١٧] إضافة القرة إلى الأعين على الإطلاق لا إلى أعينهم؛ تنبيه على أن ما أخفي لهم في غاية الحسن والكمال(٢).

٢- وردت (قرت) بفتح التاء مرة واحدة في موضع سورة القصص، ﴿وقالت ٱمرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه ﴾[القصص:٩]، وفي المواضع الأخرى (قرة)؛ ذلك لأنها جاءت في هذا الموضع بمعنى الفعل؛ إذ هو خبر عن موسى، وهو موجود حاضر في الملك، وذلك بخلاف: (قرة أعين) الذي جاء بمعنى الاسم وهو أمر غائب غير حاضر(٣).

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، (٣/ ٢٩٦)، ومفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (٢٤/ ٢٨٧).

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ١٣٠/١١.

(٣) ينظر: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل لابن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي، ١١٣/١.

المبحث الأول

قرة العين في قصص الأنبياء عليهم السلام

المطلب الأول: قرة عين أم موسى عليه السلام:

وردت قرة العين في قصة سيدنا موسى عليه السلام في ثلاثة مواضع، مرة في سورة طه، ومرتان في سورة القصص.

الموضع الأول:

في قوله تعالى: ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم علىٰ من يكفلهۥ فرجعنٰك إلىٰ أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجينٰك من ٱلغم وفتنٰك فتونا ...﴾ [طه:٤٠].

معنى الآية:

هذه إجابة من الله لنبيه موسى عليه السلام، فيما سأل من ربه عز وجل، وتذكير له بنعمه عليه، لما ألهم أمه حين كانت ترضعه، وتخاف عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه؛ لأنه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان، فاتخذت له تابوتا، وألقت به في البحر، وذهب به البحر إلى دار فرعون، فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله: ﴿وأصبح فؤاد أم موسىٰ فٰرغا إن كادت لتبدي بهۦ لولا أن ربطنا علىٰ قلبها لتكون من ٱلمؤمنين﴾[القصص:١٠]، حيث كانوا يقتلون الغلمان من بني إسرائيل، حذرا من وجود موسى، فحكم الله بقدرته ألا يربى إلا في قصر فرعون، ويتغذى بطعامه وشرابه، مع محبته وزوجته له.

وقوله: ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم علىٰ من يكفله﴾ حيث كان لأخته دور في قصته، وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون، عرضوا عليه المراضع، فحرمت عليه، وكان يعافها، فجات أخته تتحسس خبره، وقالت: ﴿هل أدلكم علىٰ أهل بيت يكفلونهۥ لكم وهم لهۥ نٰصحون﴾[القصص:١٢]، تعني هل أدلكم على من ترضعه

لكم بالأجرة؟ فذهبت به وهم معها إلى أمه، فعرضت عليه ثديها، فقبله، ففرحوا بذلك فرحا شديدا، واستأجروها

على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة(١).

وقوله تعالى: ﴿فرجعنٰك إلىٰ أمك كي تقر عينها ولا تحزن ﴾[طه:٤٠]، أي: فرددناك إلى أمك بعد أن صرت في أيدي آل فرعون، وذلك كي تقر عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك(٢)، أو من فقدك.

وقوله: {كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} بيان أن المقصود من ردك حصول السرور لها وزوال الحزن عنها، وقدم قرار العين على الحزن، لأنه لا يلزم من نفي الحزن حصول السرور لها، وأما لما قال {كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا}كان نفي الحزن لازما لذلك؛ لأنه متى حصل السرور وجب زوال الغم لا محالة(٣)، وعطف نفي الحزن على قرة العين لتوزيع المنة، لأن قرة عينها تحصل برجوعه إليها، وانتفاء حزنها بتحقق سلامته من الهلاك ومن الغرق وبوصوله إلى أحسن مأوى(٤).

قوله: ﴿وقتلت نفسا ﴾ يعني: قبطياً كافراً، ﴿فنجينٰك من ٱلغم ﴾ أي: آمناك من الخوف والقتل والحبس، وقوله: ﴿وفتنٰك فتونا﴾ اختبرناك اختباراً حتى صلحت للرسالة، وأخلصناك إخلاصاً (٥).

الموضع الثاني:

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القران للقرطبي، ١٩٨/١١، وتفسير القران العظيم لابن كثير، ٣٨٣/٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القران للطبري، ٣٠٥/١٨.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، ٤٩/٢٢.

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ٢٤٢/١٣.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القران للقرطبي، ١٩٨/١١ / تفسير القران العظيم لابن كثير، ٥/ ٢٨٣.

قوله تعالى: ﴿وقالت ٱمرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذهُ ولدا وهم لا يشعرون ﴾[القصص:٩].

معنى الآية:

امرأة فرعون، هي آسية بنت مزاحم، كما في الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»(١)، وكانت امرأة فرعون امرأة ملهمة للخير، وقدر الله نجاة موسى بسببها، وقد قال الله في شأنها: ﴿وضرب ٱلله مثلا للذين ءامنوا ٱمرأت فرعون إذ قالت رب ٱبن لي عندك بيتا في ٱلجنة ونجني من فرعون وعملهۦ ونجني من ٱلقوم ٱلظٰلمين ١١﴾ [التحريم:١١](٢).

وقد روي عن ابن عباس في قصة سيدنا موسى عليه السلام: "أن زوجة فرعون لما فتحت التابوت رأت فيه غلاماً، فألقي عليه منها محبة لم يلق منها على أحد من البشر قط، فلما سمع الذباحون بأمره، أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون؛ ليذبحوه قالت: أقروه، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، حتى آتي فرعون، فأستوهبه منه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم فأتت به فرعون فقالت: قرت عين لي ولك، قال فرعون: يكون لك، وأما لي فلا حاجة لي في ذلك،

---

(١) أخرجه البخاري، ١٥٨/٤، (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين }[التحريم:١١] ، رقم الحديث: ٣٤١١، ومسلم في صحيحه، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا برقم (٢٤٣١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٧٧/٢٠.

قال رسول الله ﷺ "والذي يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله به كما هداها به، ولكن الله حرمه ذلك"(١).

وقد اختلف في الوقت الذي قالت فيه امرأة فرعون ﴿قرت عين لي ولك﴾(٢)، وكل ما قيل ليس عليه دليل، وقيل في معناها قولان:

١- هو سبب قرة عين لي ولك، ويفيد قولها ذلك أن فرعون حين رآه استحسنه ثم خالجه الخوف من عاقبة أمره، فلذلك أنذرته امرأته بقولها قرت عين لي ولك لا تقتلوه، و{ قُرَّتُ عَيْنٍ}[القصص:٩] كناية عن السرور، ووردت هنا للدلالة على ما حصل لامرأة فرعون من معنى المسرة الحاصلة للنفس وهو{ قُرَّتُ عَيْنٍ}[القصص:٩]، ومن اللطائف في الآية أن هذه المسرة، هي مسرة حاصلة من مرأى محاسن الطفل كما قال تعالى: ﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع علىٰ عيني﴾[طه:٣٩](٣)

٢- وقيل: يجوز أن يكون قولها { قُرَّتُ عَيْنٍ}[القصص:٩] قسماً، كما يقال: أيمن الله، أي: أقسم بما تقر به عيني، فتكون امرأة فرعون أقسمت على فرعون بما فيه قرة عينها، وقرة عينه أن لا يقتل موسى(٤)، وابتدأت بنفسها في { قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي}[القصص:٩]؛ لما تعلم من مزيد حب فرعون إياها، وأن مصلحتها أهم عنده من مصلحة نفسه فقدمت نفسها عليه، فيكون ذلك أبلغ في ترغيبه بترك قتله.(٥)

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القران العظيم، ٢٩٤٤/٩، والنسائي في السنن الكبرى، ١٧٢/١٠، (حديث الفتون)، رقم الحديث: ١١٢٦٣، وأبو يعلى في "مسنده" برقم ٢٦١٨، وقال محققه: "رجاله ثقات".

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ٢٧٨/٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٧٨/٢٠.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٧٧/٢٠ (بتصرف).

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٥٨/١٠.

وهذه الموضع الوحيد الذي جاءت فيه (قرت) بفتح التاء، ومما قيل في توجيهها؛ لأنها جاءت في هذا الموضع بمعنى الفعل،(١) وهذا التوجيه يرجح المعنى الثاني وهو معنى القسم، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿لا تقتلوه ﴾، قالتها بصيغة الجمع، إما أنها أرادت به فرعون ونزلته منزلة الجماعة على وجه التعظيم، وإما أنها أرادت به خطاب فرعون وأهل دولته الذين ألقوا في نفس فرعون أن فتى من إسرائيل يفسد عليه مملكته، وقيل: فيه التفات عن خطاب فرعون إلى خطاب الموكلين بقتل أطفال إسرائيل(٢).

وقوله تعالى: ﴿عسىٰٓ أن ينفعنآ ﴾ أي: فنصيب منه خيرا، وورد هذا القول في موقع السبب لقولها (لاتقتلوه)، فأرادت إقناع فرعون بأن هذا الطفل لا يكون هو المخوف منه لأنه لما انضم في أهلهم وتربى في قصرهم، فإنه يرجى منه نفعهم وأن يكون لهم كالولد، وقد كانت لا تلد(٣).

وقوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون ﴾ قيل: هذا ابتداء كلام من الله تعالى، أي وهم لا يشعرون أن هلاكهم بسببه، وقيل: هو من كلام المرأة، أي وبنو إسرائيل لا يدرون أنا التقطناه، ولا يشعرون إلا أنه ولدنا، وقيل: أي وفرعون وقومه لا يعلمون خفي إرادة الله من الانتقام من أمة القبط بسبب موسى(٤).

الموضع الثالث:

﴿فرددنٰه إلىٰ أمهۦ كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد ٱلله حق ولٰكن أكثرهم لا يعلمون﴾[القصص:١٣].

---

(١) ينظر: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، ١١٣/١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ٧٩/٢٠.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القران للقرطبي، ٢٥٣/١٣ / والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٧٧/٢٠ بتصرف.

(٤) الجامع لأحكام القران للقرطبي، ٢٥٣/١٣.

معنى الآية:

سبق معناها في الموضع الأول، وهو قوله تعالى: ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم علىٰ من يكفلهۥ فرجعنٰك إلىٰ أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجينٰك من ٱلغم وفتنٰك فتونا ...﴾ [طه:٤٠].

ومما قيل في قوله: ﴿فرددنٰه إلىٰ أمهۦ﴾، أي: فرددناك إلى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون، كي تقر عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم، وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك(١)، فقد روي عن محمد بن إسحاق، قال: "لما قالت أخت موسى لهم ما قالت، قالوا: هات، فأتت أمه فأخبرتها، فانطلقت معها حتى أتتهم فناولوها إياه، فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها، وسروا بذلك منه، ورده الله إلى أمه كي تقر عينها، ولا تحزن، ولتعلم إن وعد الله حق، ولكن أكثرهم لا يعلمون فبلغ لطف الله لها، وله أن رد عليها ولدها، وعطف عليها نفع فرعون، وأهل بيته، مع ما من الله عليه من القتل الذي يتخوف على غيره، فكأنه كان من بيت آل فرعون، في الأمان والسعة، فكان على فرش فرعون، وسرره في بيته"(٢).

وهذه الآية تحقيق لوعد الله السابق في قوله: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من ٱلمرسلين﴾ [القصص:٧]، وهي تحقيق للوعد الأول، وفيها بشرى بتحقق الوعد الثاني في مستقبل الأيام(٣).

وقوله: ﴿ كي تقر عينها ولا تحزن﴾ أي: تثبت، أصله من القرار؛ لأن ما يحبه الإنسان تسكن عينه عليه، ولا تنظر إلى غيره، ويبين هذا المعنى، قوله تعالى:

---

(١) جامع البيان في تأويل القران للطبري، ٣٠٥/١٨.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، ٢٩٥٠/٩.

(٣) ينظر: الخواطر، لفضيلة الشيخ/ محمد متولي الشعراوي، ١٠٨٩٥/١٧.

﴿أشحة عليكم فإذا جاء ٱلخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كٱلذي يغشىٰ عليه من ٱلموت ﴾[الأحزاب:١٩].

فهؤلاء تدور أعينهم هنا وهناك من الخوف، والقلق، والاضطراب، وهذا كله ينافي قرار العين وسكونها(١).

وفي هذا بيان لعمق الحزن والشعور بالفراق الذي صاحب فؤاد أم موسى، فتعلق الأم برضيعها أمر لا يخفى على كل امرأة، وقد جاء القرآن الكريم ليصف حال تلك المرأة، فقال في حقها: ﴿وأصبح فؤاد أم موسىٰ فٰرغا إن كادت لتبدي بهۦ لولا أن ربطنا علىٰ قلبها لتكون من ٱلمؤمنين﴾[القصص:١٠]، قال الطبري: (من هم كل شيء في الدنيا إلا من هم موسى)(٢).

وقوله: ﴿ولتعلم أن وعد ٱلله حق ولٰكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أي: لتعلم وقوعه، فإنها كانت عالمة بأن رده إليها سيكون، {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون} [القصص:١٣] يعني أكثر آل فرعون لا يعلمون، لأنهم بين مشركين وبين مؤمنين تقادم العهد على إيمانهم، وكانوا في غفلة عن التقرير وشر القضاء(٣).

هدايات الآيات في قصة أم موسى عليهما السلام:

ليس هناك أشد عاطفة من عاطفة الأم على ولدها، بخلق الله وتقديره، لذا حزنت أم موسى وقلقت على ابنها بعد إلقائه في البحر، ولكن الله الرحيم بعباده رد إليها ابنها، وأقر عينها، وأزال حزنها وغمها.

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، ١٠٨٨٩/١٧.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القران، ٥٢٨/١٩.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القران للقرطبي، ٢٥٨/١٣ / التحرير والتنوير، ٨٦/٢٠.

١- هجمت الوساوس والمخاوف على قلب أم موسى، وطار عقلها لوقوع ابنها في يد فرعون عدو الإسرائيليين، وقاربت أن تظهر أمره لولا أن ثبتها الله وصبرها وملأ قلبها بالإيمان والاطمئنان والسكينة.

٢- إن تدبير الله الخفي في أي شيء أشد نفاذاً من تدبير البشر، فقد منع موسى الطفل من الارتضاع من قبل مجيء أمه وأخته، ثم رده إليها، وفاء بوعده لها، وكان قد عطف الله قلب العدو عليه، فقر عين أم موسى، وسكن فؤادها.

٣- إن الله بالغ أمره بتهيئة الأسباب، ولو شاء الله لأهلك فرعون ومن معه، ولكنه أراد أن يحصل ذلك بمشاهدة تنقلات الأحوال ابتداء من إلقاء موسى في اليم إلى أن رده إلى أمه فتكون في ذلك عبرة للمشركين.

٤- وجود الصالحين بين المفسدين يخفف من الفساد والفتن، فإن وجود امرأة فرعون كان سببا في صد فرعون عن قتل موسى مع أنه قد تحقق أنه إسرائيلي.

٥- قوله {عَسَى أَن يَنفَعَنَا} [القصص:٩] إصابة قوم فرعون بغتة من قبل من أمّلوا منه النفع، أشد عبرة للمعتبر، وأدل على أن انتقام الله يكون أعظم من انتقام العدو كما قال: { فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ} [القصص: ٨].

٦- قوله {وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [القصص:١٣]تذكير للمؤمنين بأن نصرهم حاصل ولو بعد حين.

٧- قوله {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُون} [القصص:١٣] إشارة إلى أن المرء يؤتى من جهله النظر في أدلة العقل(١).

هذه خلاصة المعاني التي وردت في قصة سيدنا موسى عليه السلام، وقرة عين أمه به، وحصول السرور لها وانتفاء الحزن عنها برجوعه إليها، وسلامته من

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٨٦/٢٠، والتفسير المنير، ٢١١/١٦، وكذلك ٧٠/٢٠، بتصرف.

الغرق والهلاك من بطش فرعون، ولا تخفى عناية الله ولطفه بما حصل لقلب أمه عليه السلام، من هلع وخوف حتى كادت أن تبدي أمره، لكن الله تعالى ثبتها ووعدها برجوعه إليها.

المطلب الثاني: قرة عين مريم أم عيسى عليهما السلام:

كما وردت قرة العين في قصة سيدنا عيسى عليه السلام في موضع واحد من سورة "سورة مريم".

قال تعالى: ﴿فكلي وٱشربي وقري عينا فإما ترين من ٱلبشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمٰن صوما فلن أكلم ٱليوم إنسيا ٢٦﴾[مريم:٢٦].

معنى الآية:

بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى مريم عليها السلام بهز جذع النخلة، في الآية السابقة ﴿وهزي إليك بجذع ٱلنخلة تسٰقط عليك رطباً جنياً ٢٥﴾[مريم:٢٥] وقد كان يابساً، وكان الرطب يتساقط عليها في فصل الشتاء، قال لها: { فَكُلِي وَاشْرَبِي} [مريم:٢٦]، أي: فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك، واشربي من ماء السري⁽¹⁾ الذي جعله ربك تحتك، لا تخشي جوعاً ولا عطشاً.

وهذا الأمر كان المعجزات التي حصلت للسيدة مريم عليها السلام.

قال الشنقيطي: (والذي يفهم من سياق القرآن، أن الله أنبت لها ذلك الرطب، وأجرى لها ذلك النهر على سبيل خرق العادة، ولم يكن الرطب والنهر موجودين قبل ذلك، ووجه دلالة السياق على ذلك أن قوله تعالى: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا} [مريم:٢٦]، يدل على أن عينها إنما تقر في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة؛ لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به؛ لأن مجرد الأكل والشرب مع بقاء التهمة

---

(١) هو الجدول وهو النهر الصغير. ينظر: أضواء البيان في إيضاح القران بالقران، ٣/ ٣٩٥.

التي تمنت بسببها أن تكون قد ماتت من قبل وكانت نسياً منسيا، لم يكن قرة لعينها في ذلك الوقت كما هو ظاهر)(١).

وقوله: ﴿وقري عيناۚ ﴾ أي: وطيبي نفساً، وافرحي بولادتك، ولا تحزني ولا يصيبك الهم والغم، ومعنى الكلام: ولتقرر عينك بولدك، ولتسكن بالقرب منه(٢)؛ لأن قرة العين تشمل هناء العيش، وتشمل الأنس بالطفل المولود، وفي كونه قرة عين كناية عن ضمان سلامته، ونباهة شأنه؛ وعن طيب النفس وتأهلها لأن تنام بالكفاية في الدنيا بطعام البدن وغذاء الروح بكونه آية باهرة؛ لأن المهموم لا ينام، والعين لا تستقر ما دامت يقظى، والآخرة بالكرامة وذلك على أنفع الوجوه(٣).

وقيل: كوني سعيدة باصطفاء الله لك مسرورة بما أعطاك، فما تهتمين به وتحزنين هو عين النعمة التي ليست لأحد غيرك من نساء العالمين.(٤)

قال الماوردي: ({وَقَرِّي عَيْناً}، فيه ثلاثة أوجه: أحدها: جاء يقر عينك سروراً، قاله الأصمعي؛ لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة. الثاني: طيبي نفساً، قاله الكلبي. الثالث: تسكن عينك ولذلك قيل ما شيء خير للنفساء من الرطب والتمر)(٥).

وقال الإمام أبو السعود: ({وَقَرّى عَيْناً} وطِيبِي نفساً وارفضي عنها ما أحزنك وأهمك فإنه تعالى قد نزّه ساحتَك عما اختلج في صدور المتعبدين بالأحكام العادية

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القران بالقران، ٣٩٧/٣ بتصرف.

(٢) ينظر جامع البيان في تأويل القران، ١٨١/١٨، والكشاف للزمخشري، ١٤/٣، والجامع لأحكام القران للقرطبي، ٩٦/١١.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، (١٢/ ١٩١)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٥/ ٢٦٣)، والتحرير والتنوير، ٨٩/١٦.

(٤) ينظر: فتح القدير، (٣/ ٣٨٩)، وتفسير الشعراوي، ٩٠٧٠/١٥.

(٥) النكت والعيون، ٣٦٧/٣.

بأن أظهر لهم من البسائط العنصريةِ والمركباتِ النباتية ما يخرِق العاداتِ التكوينيةَ ويرشدهم إلى الوقوف على سريرة أمرِك)(١).

وقوله ﴿فإما ترين من ٱلبشر أحدا فقوليٓ إني نذرت للرحمٰن صوما ﴾، أي: مهما رأيت من بني آدم أحدا يكلمك أو يسألك عن أمرك وأمر ولدك، {فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}[مريم:٢٦] أي: فقولي: إني أوجبت على نفسي لله صمتا ألا أكلم أحدا من بني آدم اليوم(٢)، وأطلق القول على ما يدل على ما في النفس، وهو الإيماء، فالمراد أن تؤدي ذلك بإشارة إلى أنها نذرت صوماً بأن تشير إشارة تدل على الانقطاع عن الأكل، وإشارة تدل على أنها لا تتكلم لأجل ذلك(٣).

الهدايات من الآية:

اقترنت ولادة السيدة مريم بأنواع من الألطاف الإلهية، فقد ناداها جبريل- عليه السلام- بأن الله جعل من تحتها نهراً صغيراً؛ لتشرب منه، وأسقط لها رطب النخلة، بقدرة الله، وطيب الله نفسها وأقر عينها، فأزال عن قلبها الكآبة والحزن، وأمرها على لسان جبريل بالإمساك عن كلام البشر، وكل هذه آيات خارقة للعادة أظهرها الله بمناسبة ميلاد عيسى عليه السلام(٤) قال تعالى: {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم:٢٤]، وهكذا شأن كل من تفرغ لله، وتوكل عليه – سبحانه-، وانقطع لعبادته، فإن الله ناصره، ومعينه قال تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق:٢: ٣].

المطلب الثالث: قرة أعين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٥/ ٢٦٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القران، ١٨١/١٨.

(٣) التحرير والتنوير، ٩٣/١٦ .

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، ٧٩/١٦.

بيَّن الله – عز وجل– وجهاً من وجوه التوسعة التي وسعها– سبحانه– لنبيه صلّى الله عليه وسلّم في معاشرته لنسائه بعد بيان ما أحله له من النساء فقال تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهن وتـٔوي إليك من تشاء ومن ٱبتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذٰلك أدنىٰ أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما ءاتيتهن كلهن وٱلله يعلم ما في قلوبكم وكان ٱلله عليما حليما﴾[الأحزاب:٥١].

قال القرطبي: (واختلف العلماء في تأويل هذه الآية، وأصح ما قيل فيها: التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم في ترك القسم، فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته.

وهذا القول هو الذي يناسب ما مضى، وهو الذي ثبت معناه في الصحيح عن عائشة– رضى الله عنها– قالت: "كنت أغار على اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول: أو تهب المرأة نفسها لرجل؟ فلما أنزل الله– تعالى–: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} [الأحزاب: ٥١]"(١))(٢).

وقد ورد في سبب نزول الآية:

ما روي عن ابن زيد فِي قَوْلِ اللَّهِ: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ} [الأحزاب: ٥١] الْآيَةُ قَالَ: " كَانَ أَزْوَاجُهُ قَدْ تَغَايَرْنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَجَرَهُنَّ شَهْرًا، ثُمَّ نَزَلَ التَّخْيِيرُ مِنَ اللهِ لَهُ فِيهِنَّ، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب: ٣٣] فَخَيَّرَهُنَّ بَيْنَ أَنْ يَخْتَرْنَ أَنْ يُخْلِيَ سَبِيلَهُنَّ وَيُسَرِّحْهُنَّ وَبَيْنَ أَنْ يُقِمْنَ إِنْ أَرَدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ عَلَى أَنَّهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَنْكِحْنَ أَبَدًا، وَعَلَى أَنَّهُ يُؤْوِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُنَّ مِمَّنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ ...، {ذَلِكَ أَدْنَى أَن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، بَابُ جَوَازِ هِبَتِهَا نَوْبَتَهَا لِضُرَّتِهَا، (٢/ ١٠٨٥ رقم ١٤٦٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، (١٤/ ٢١٤).

تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ}[الأحزاب:٥١] ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ، وَيَرْضَيْنَ إِذَا عَلِمْنَ أَنَّهُ مِنْ قَضَائِي عَلَيْهِنَّ إِيثَارُ بَعْضِهِنَّ عَلَى بَعْضٍ(١).

معنى الآية:

قوله ﴿ ترجي من تشاء منهن وتٔوي إليك من تشاء ﴾، أي: إن الله تعالى جعل لنبيه ﷺ الخيار في أن يؤخر من يشاء من النساء اللواتي أحلهن له من يشاء، ويضم إليه منهن من يشاء.

وقوله ﴿ ومن ٱبتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ﴾، أي: ومن ابتغيت إصابته من نسائك (ممن عزلت) عن ذلك منهن (فلا جناح عليك).

وقوله ﴿ٰلك أدنىٰ أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما ءاتيتهن كلهن﴾، أي: تفويض الأمر إلى مشيئتك، أو ابتغاء من عزلت من نسائك، أقرب إلى قرة عيونهن، ورضاهن جميعاً(٢).

لأن (ذلك) كما قيل في الآية ترجع إلى أحد معنيين:

الأول: أي: ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن والتفويض إلى مشيئتك، أقرب لنسائك أن تقر أعينهن به ولا يحزن، لأنهن إذا علمن أن هذا التفويض من عند الله تعالى قرت أعينهن بذلك ورضين(٣).

---

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي، ١/٣٧١، وأخرجه الطبري في تفسيره "جامع البيان في تأويل القرآن"، ٢٠/٢٥٣.

(٢) ينظر: روح المعاني، ١١/٢٣٩.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القران، ٢٠/٢٩٤ وما بعدها/ والكشاف للزمخشري، ٣/٥٥٢/ الجامع لأحكام القران للقرطبي، ١٤/٢١٦.

الثاني: الإشارة إلى الابتغاء في قوله (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ) أي: فلا جناح عليك في ابتغائهن بعد عزلهن ذلك أدنى؛ لأن تقر أعينهن، والابتغاء: الرغبة والطلب، والمراد هنا ابتغاء معاشرة من عزلهن.(١)

قال ابن عاشور: (المعنى الأول، يلائم قوله: ويرضين، ولا يلائم قوله: {أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ}؛ لأن قرة العين إنما تكون بالأمر المحبوب، ولا قوله: ولا يحزن لأن الحزن من الأمر المكدر ليس بالاختيار، أما المعنى الثاني: هو المناسب لقوله: أن تقر أعينهن ولا يحزن ولقوله: «ويرضين كلهن»، قال: وهو الأرجح؛ لأن قرة العين لا تحصل على مضض ولأن الحط في الحق يوجب الكدر، ويؤيده أن النبي ﷺ لم يأخذ إلا به ولم يحفظ عنه أنه آثر إحدى أزواجه ليلة سوى ليلة سودة التي وهبتها لعائشة، واستمر ذلك إلى وفاته ﷺ)(٢).

وهذا الموضع الوحيد الذي قيل في {ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ} من المواضع التي ذكرت فيها قرة العين؛ لأن رضاهن جميعاً، وسرورهن وقرة أعينهن لن يكون على درجة واحدة، – وهذا طبع النساء غالباً– بل إن هذا الأمر أقرب ما يكون لذلك، والله أعلم.

قوله: ﴿ وٱلله يعۡلم ما في قلوبكمۚ وكان ٱلله عليما حليما﴾، فيه وعيد لمن لم ترض منهن بأمر الله تعالى، وفيه حث على التصافي بينهن، والتوافق على طلب رضا رسول الله ﷺ(٣).

الهدايات من الآية:

قوله تعالى: {ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ}فيه بيان الحكمة في التخيير بالقسم؛ لأنهن إذا علمن أن الفعل من الله قرت أعينهن بذلك ورضين؛ لأن المرء إذا علم أنه

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٧٥/٢٢.

(٢) التحرير والتنوير، ٧٥/٢٢.

(٣) الكشاف للزمخشري، ٥٥٢/٣.

لا حق له في شيء، كان راضياً بما أوتي منه، وإن علم أن له حقاً لم يقنعه ما أوتي منه، فكان ما فعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم من تفويض الأمر إليه في أحوال أزواجه أقرب إلى رضاهن معه، وإلى استقرار أعينهن بما يسمح به لهن دون أن تتعلق قلوبهن بأكثر منه(١).

ولهذا اخترن رسوله الله صلى الله عليه وسلم، وأقر الله به أعينهنَّ رغم ضيق العشق؛ فقد روي عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، فبدأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني ذاكر لك أمراً، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك»، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: "إن الله تعالى قال: { يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ}[الأحزاب:٥٩]" إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة»(٢).

وكان- عليه الصلاة والسلام- مع هذا يشدد على نفسه في رعاية التسوية بينهن في القسم والبيتوتة والمجامعة، تطيباً لقلوبهن؛ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي، فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي، فِيمَا تَمْلِكُ، وَلَا أَمْلِكُ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: يَعْنِي الْقَلْبَ»(٣).

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، ٧٤/٢٢، بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ١١٧/٦، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا }[الأحزاب:٥٩]، رقم الحديث: ٤٧٨٥ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، بَابٌ فِي الْقَسْمِ بَيْنَ النِّسَاءِ، رقم ٢١٣٤، وقال الحاكم في " المستدرك على الصحيحين"، (٢/ ٢٠٤ رقم ٢٧٦١): (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي.

المبحث الثاني

قرة العين، دلالات وهدايات

المطلب الأول: مشروعية طلب الدعاء بقرة العين:

ذكر– سبحانه– في نهاية الحديث عن صفات "عباد الرحمن" في "سورة الفرقان" أنهم لا يكتفون بهذه المناقب الحميدة التي وهبهم الله إياها، وإنما هم يتضرعون إليه– سبحانه– أن يجعل منهم الذرية الصالحة، وأن يرزقهم الزوجات الصالحات فقال تعالى: ﴿وٱلذين يقولون ربنا هب لنا من أزوٰجنا وذريٰتنا قرة أعين وٱجعلنا للمتقين إماما﴾[الفرقان:٧٤].

معنى الآية:

من صفات المؤمنين أنهم يرغبون إلى الله تعالى في دعائهم، ومسألتهم، أن يهب لهم قرة أعين من أزواجهم، وذرياتهم؛ وهذا من الأمور المشروعة التي تطمح إليها نفس المؤمن، فالأولاد هم ثمار القلوب، وزينة الحياة الدنيا وبهجتها، قال تعالى: ﴿ٱلمال وٱلبنون زينة ٱلحيوٰة ٱلدنيا ﴾[الكهف:٤٦]، والإنسان ينتفع بصلاح ولده بعد موته، كما قال النبي ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»⁽¹⁾.

وتهنأ حياته بالزوجة الصالحة؛ فعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضِّيقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ»...»⁽²⁾.

---

(١) أخرجه مسلم، ١٢٥٥/٣، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث: ١٦٣١.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب النكاح، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا، (٣٤٠/٩ رقم٤٠٣٢)، وقال محققه: "إسناده صحيح على شرط البخاري".

وسئل الحسن البصري عن قول الله: {هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} [الفرقان:٧٤] في الدنيا والآخرة؟ قال: لا بل في الدنيا، قال: وما ذاك؟ قال: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله.⁽¹⁾

و(من) في قول: (من أزوٰجنا وذريٰتنا) للابتداء، أي اجعل لنا قرة أعين تنشأ من أزواجنا وذرياتنا، وذكر في معنى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، أي: من يعمل لك بالطاعة فتقر بهم أعيننا في الدنيا والآخرة⁽²⁾.

ومعنى قرة العين في الآية:

أولاً: إما من القرار، أي: هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تسكن به نفوسنا وتستقر، قال القرطبي في الآية: (ذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله وعياله حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة، أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة، معاونون له على وظائف الدين والدنيا، لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده، فتسكن عينه عن الملاحظة، ولا تمتد عينه إلى ما ترى، فذلك حين قرة العين، وسكون النفس)⁽³⁾.

ثانياً: وإما من القر: البرد؛ لأن دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن⁽⁴⁾ أي: هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تسر به أعيينا ولا تحزن؛ لأن الإنسان متى رأى من زوجه وولده الطاعة والصلاح فرح وقرت عينه، ومتى رأى العصيان والكفر حزن وأصابه الهم والغم، ذلك أن ذرية المؤمن في الجنة تلحقه وإن كانت دونه في العمل، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «إن الله تعالى ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ الآية ﴿وَٱلَّذِين

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، جامع البيان في تأويل القران، ٣١٨/١٩.

(٢) جامع البيان في تأويل القران، ٣١٨/١٩، والهداية إلى بلوغ النهاية، ٥٢٦٨/٨.

(٣) الجامع لأحكام القران للقرطبي، ٨٢/١٣.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٢٢/٤.

ءامنوا وٱتبعتهم ذريتهم بإيمٰن ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتنٰهم من عملهم من شيء كل ٱمري بما كسب رهين﴾[الطور: ٢١]»(١).

والأعين: هي أعين الداعين، أي: قرة أعين لنا، وإنما قيل أعين دون عيون، لأنه أراد أعين المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم.(٢)

ودعاء المؤمنين بصفة (قرة أعين)؛ لأنها صفة جامعة للكمال في الدين والدنيا؛ إذ لا تقر عيون المؤمنين إلا بصلاح أزواجهم وأبنائهم، فمن أجل ذلك جَعَل دعاءَهم هذا من أسباب جزائهم بالجنة.(٣)

وقوله تعالى: ﴿وٱجعلنا للمتقين إماما ﴾، قدوة يقتدى بنا في الخير(٤)، وهذا يقتضي أنهم يسألون لأنفسهم بلوغ الدرجات العظيمة من التقوى، ويقتضي كذلك أنهم يسألون أن يكونوا دعاة للدخول في الإسلام وأن يهتدي الناس إليه بواسطتهم(٥).

قال إبراهيم النخعي: (لم يطلبوا الرياسة، بل أن يكونوا قدوة في الدين، وهذا حسن أن يطلب ويسعى له)(٦).

خلاصة القول: إن دعاء الإنسان بصلاح زوجه وذريته من الأمور المشروعة في الدين، لأن ذلك مما تقر به العين وتنشرح له النفس، قال الإمام القرطبي: (وفيه جواز الدعاء بالولد)(٧).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، جامع البيان في تأويل القران، ٤٦٧/٢٢.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري، ٢٩٦/٣/ التحرير والتنوير، ٨١/١٩.

(٣) التحرير والتنوير، ٨١/١٩ بتصرف.

(٤) الجامع لأحكام القران للقرطبي، ٨٢/١٣.

(٥) التحرير والتنوير، ٨١/١٩.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٢٢/٤.

(٧) الجامع لأحكام القران للقرطبي، ٨٢/١٣.

الهدايات من الآية(١):

١- الابتهال إلى الله بجعل توابع الإنسان من أزواج وذرية هداة مطيعين لله، تقر النفوس بهم، وتثلج الصدور بسيرتهم العطرة، وأن يكونوا أئمة وقدوة يقتدى بهم في الخير، ولا يكون ذلك إلا إذا كان الداعي تقيا صالحا، وهذا يدل على جواز الدعاء بالولد، وللولد وللزوجة، وبأن يكون نفع الإنسان شاملا غيره(٢) .

٢- نفع الطاعة للعباد لا لله، فالله غني عن عباده، فبقدر صلاح العبد وتقواه تكون له الإجابة من الله تعالى، والتوفيق في أمور دينه ودنياه.

٣- على الإنسان المسلم الاجتهاد في تربية أولاده وتنشئتهم نشأة حسنة، مع ملازمة الدعاء لهم في كل وقت وحين، وكذلك الأزواج فينبغي التناصح بينهم على البر والتقوى والتذكير بأن هذه الدنيا فانية، والحياة الحقيقية هي الدار الآخرة.

وقد ورد الدعاء بقرة العين في حديث النبي ﷺ ففي حديث عطاء بن السائب، عن أبيه، قال: «صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أُبَيٌّ غَيْرَ أَنَّهُ كَنَى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، ١٩/١١٨.

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي، ١٩/١١٨.

النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»(١).

قال المباركفوري في شرح الحديث: وقوله: (قرة عين لا تنقطع) يحتمل أن يراد الذرية التي لا تنقطع بعده، بل تستمر ما بقيت الدنيا، ولعله مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ربنا هب لنا من أزوٰجنا وذريٰتنا قرة أعين وٱجعلنا للمتقين إماما﴾ [الفرقان:٧٤].

وقيل: أراد المداومة على الصلاة، والمحافظة عليها؛ لقوله عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(٢)، أو المراد ثواب الجنة الذي لا ينقطع فيكون تأكيدا لقوله ((نعيما لا ينفد)) فيكون تخصيصاً بعد تعميم، وقيل: أراد قرة عينه أي بدوام ذكر الله وكمال محبته والأنس به)(٣).

المطلب الثاني: قرة الأعين في الجنة:

بين الله العطاء الجزيل، والثواب العظيم الذي أعده لهؤلاء المؤمنين المتهجدين بالليل والناس نيام – والذي لم يطلع عليه ملك مقرب، أو نبي مرسل– ما تقر به أعينهم، وتسعد به قلوبهم، وتبتهج له نفوسهم فقال تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾[السجدة:١٧].

معنى الآية:

---

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب السهو، باب نوع آخر، ٣/٥٤، رقم الحديث: ١٣٠٥، وابن حبان في صحيحه، باب ذِكْرُ جَوَازِ دُعَاءِ الْمَرْءِ فِي الصَّلَاةِ بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ (٥/ ٣٠٤ رقم ١٩٧١)، وقال محققه:" إسناده قوي، فإن سماع حماد بن زيد من عطاء بن السائب قبل الاختلاط".

(٢) أخرجه النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، ٧/٦١، رقم الحديث: ٣٩٤٠)، وأحمد في المسند، مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، (٢٠/ ٣٥١ رقم ١٣٠٥٧)، وإسناده صحيح.

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/٢٧٩.

سبقت هذه الآية بآيتين قبلها فيها صفات للمؤمنين، وهي قوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بـَٔايٰتنا ٱلذين إذا ذكروا بها خروآ سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون * تتجافىٰ جنوبهم عن ٱلمضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقنٰهم ينفقون﴾[السجدة:١٥-١٦]

ثم قال الله {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ}[السجدة:١٧]، أي: فلا يعلم أحد ما أخفي الله لهؤلاء الذين وصفهم الله مما تقر به أعينهم في جنانه يوم القيامة من النعيم المقيم.

{جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون }[السجدة:١٧] أي: ثواباً لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون، فإنهم لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقا (١)، قال الحسن: (أخفى القوم أعمالا فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت)(٢).

قرة العين في الجنة: إما من معنى (القر) أي: البرد، كناية عن النعيم والسرور الذي يعيشه المؤمنين هناك، فلا حزن ولا بؤس، كما قال الله تعالى: ﴿وقالوا ٱلحمد لله ٱلذيٓ أذهب عنا ٱلحزن إن ربنا لغفور شكور﴾[فاطر:٣٤].

وإما من السكون والاستقرار، ومنه قر في المكان أي: استقر فيه، فمعنى (قرة العين) أي: استقرارها على شيء بحيث لا تتحول عنه إلى غيره، والعين لا تستقر على الشيء إلا إذا أعجبها، ورأت فيه كل ما تصبو إليه من متعة، ففي الجنة تقر العيون بحيث لم يعد لها تطلعات، فقد كملت لها المعاني، فلا ينبغي لها أن تطمع في شيء آخر إلا الدوام(٣).

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القران، ١٨٢/٢٠، وتفسير القران العظيم لابن كثير، ٣٦٥/٦ .

(٢) الجامع لأحكام القران للقرطبي، ١٠٥/١٤.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٥/ ١٤٦)، وتفسير الشعراوي،١١٨٣٧/١٩

وقد سمى الله الدار الآخرة (دار القرار)، قال تعالى: ﴿يٰقوم إنما هٰذه ٱلحيوٰة ٱلدنيا متٰع وإن ٱلأٓخرة هي دار ٱلقرار ﴾[غافر:٣٩].

فالقرار والاستقرار في الدار الآخرة، أما الدار الدنيا فمنقطعة ولذاتها لا تصفوا ولا تدوم أبدا، بخلاف الآخرة فإن لذاتها ونعيمها صاف من الكدر، دائم غير منقطع ليس فيها حزن ولا نصب ولا لغوب، وأهل الجنة لهم فيها ما تشتهي أنفسهم وهم فيها خالدون، فشهوة النفوس ولذة العيون هو النعيم الخالص، والخلود هو الدوام والبقاء.(١)

وقد ذكر المفسرون في هذه الآية عدة آثار، سأكتفي بذكر ما صح منها:

-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: " اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة:١٧](٢).

-روي عن المغيرة بن شعبة، عن رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ مُوسَى سَأَلَ رَبَّهُ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَيُّ أَهْلِ الجَنَّةِ أَدْنَى مَنْزِلَةً؟ قَالَ: رَجُلٌ يَأْتِي بَعْدَمَا يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: كَيْفَ أَدْخُلُ وَقَدْ نَزَلُوا مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ. قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ قَدْ رَضِيتُ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ هَذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ وَمِثْلَهُ، فَيَقُولُ: قَدْ رَضِيتُ أَيْ رَبِّ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ هَذَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهِ،

---

(١) http://majles.alukah.net/t٣٩٨٣٩/ مقال قرة العين ووصف الجنة

(٢) أخرجه البخاري، (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، وأنها مخلوقة، ٤/١١٨، رقم الحديث: ٣٢٤٤)، و(كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: ١٧]، ٦/١١٥، رقم الحديث: ٤٧٧٩).

فَيَقُولُ: رَضِيتُ أَيْ رَبِّ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ". (١)

-عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، يَقُولُ: "شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧](٢).

-وعن ابن سيرين أنه قال في الآية: إنه النظر إلى الله عز وجل(٣).

كل ذلك قليل في جانب ما أعد لهم في الجنة من هذه الموصوفات، ولا تبلغه صفات الواصفين؛ لأن منتهى الصفة محصور فيما تنتهي إليه دلالات اللغات مما يخطر على قلوب البشر وعبر عن تلك النعم ب "ما أخفي"؛ لأنها مغيبة لا تدرك إلا في عالم الخلود(٤).

قال أبو حيان: ("فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ": نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، فَيَعُمُّ جَمِيعَ الأنفس مما ادّخرا لله تَعَالَى لِأُولَئِكَ، وَأَخْفَاهُ مِنْ جَمِيعِ خَلَائِقِهِ مِمَّا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، وَهَذِهِ عِدَةٌ عَظِيمَةٌ لَا تَبْلُغُ الْأَفْهَامَ كُنْهَهَا، بَلْ وَلَا تَفَاصِيلَهَا)(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي، وقال: (حديث حسن صحيح)، ٥/٢٠٠، (أبواب تفسير القران، باب: ومن سورة السجدة)، رقم الحديث: ٣١٩٨.

(٢) أخرجه مسلم، ٤/٢١٧٥، (كتاب الجنة وصفة نعيمهما وأهلها)، رقم الحديث:٢٨٢٥.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية، ٩/٥٧٦٣.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير،٢١/٢٣٠ بتصرف.

(٥) البحر المحيط في التفسير، (٨/ ٤٣٨).

من هدايات الآية الكريمة:

١- قيام الليل، وتجافي الجنوب عن المضاجع، فيه جزاء عظيم، لا يعلم حقيقته غير الله عز وجل، فلا يدري أحد ما لهؤلاء من النعيم المقيم الذي أخفاه الله لهم.

٢- نعيم الجنة لا تدركه العقول، ولا تتخيله العقول، فعلى الإنسان العاقل ألا يفوت ذلك النعيم بملذات وشهوات الدنيا الفانية؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»(١)

٣- تقر عين المؤمن في الجنة بإلحاق ذريته به، فالعاقل من كان هدفه في الدنيا الاجتماع مع أهل بيته على طاعة الله وتقواه؛ لأن الحياة الحقيقية والاستقرار في جنات النعيم.

٤- إن العمل لطلب الجنة محبوب ومرضي للرب، وطلبها عبودية له.(٢)

المطلب الثالث: قرة العين في الصلاة

لم يرد لفظ (قرة العين) في الصلاة في القرآن الكريم، بل ورد في الحديث الشريف، قوله ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»(٣)، وأوردته في هذا البحث لما للصلاة من أهمية عظيمة في الدين، ولأن الصلاة قد ورد ذكرها في القران الكريم بالمعنى الذي جاء في الحديث النبوي، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[البقرة:٤٥].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢١٧٤/٤، (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، رقم الحديث:٢٨٢٢.

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ، ٧٩/٢.

(٣) أخرجه النسائي، (كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، ٦١/٧، رقم الحديث: ٣٩٤٠)، حكم الألباني: صحيح.

فالصلاة قرة عيون المحبين في هذه الدنيا، لما فيها من مناجاة من لا تقر العيون ولا تطمئن القلوب ولا تسكن النفوس إلا إليه، وبالتنعم بذكره، والتذلل والخضوع له، فالمحب راحته وقرة عينه في الصلاة، والغافل المعرض ليس له نصيب من ذلك وليس له قرة عين فيها ولا لقلبه راحة بها، بل الصلاة كبيرة شاقة عليه كما قال تعالى: ﴿وإنها لكبيرة إلا على ٱلخشعين﴾[البقرة:٤٥].

قال ابن كثير: (قوله: "وإنها" عائد إلى الصلاة، "لكبيرة" أي: مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين) (١)، فالخاشعين، هم الذين تعلقت أرواحهم بالصلاة، وسكنت قلوبهم فيها، فلذلك كانت الصلاة قرة عين لهم.

ومعنى قرة العين: السرور واللذة الحقيقة التي تحصل للمصلي، كما قال ابن حجر: (ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه، لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته)(٢).

وقال ابن القيم: (فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرت عينه في الصلاة هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول حفظك الله تعالى كما حفظتني، وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول ضيعك الله كما ضيعتني)(٣).

مراتب الناس في الصلاة:

قال ابن القيم: (والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

---

(١) تفسير القران العظيم لابن كثير، ٢٥٣/١.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٣٤٥/١١.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم الجوزية، ص٢٢.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئا منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها واتمامها، قد استغرق قلب شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ناظراً بقبله إليه مراقباً له ممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطوات وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه قرير العين به....

فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات)(١)

وبيان هذه المرتبة الخامسة من أحسن ما قيل في قرة العين بالصلاة، وهذه هي صلاة النبي ﷺ الذي كان إذا ألمّ به أمر فزع إلى الصلاة؛ فعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى»(٢)، نسأل الله تعالى أن يرزقنا لذة القرب منه وقرة العين بمناجاته.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص٢٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، ٢/٣٥، (أبواب قيام الليل، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل)، والإمام أحمد في المسند، حَدِيثُ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (٣٨/ ٣٣٠ رقم ٢٣٢٩٩)، وإسناده صحيح.

المطلب الرابع: الحزن وعلاقته بقرة العين:

تعريف الحزن: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور (١)

ولم يأت الحزن في القرآن إلا منهيا عنه، أو منفيا، فالمنهي عنه كقوله تعالى{ولا تهنوا ولا تحزنوا} [آل عمران: ١٣٩] وقوله: {ولا تحزن عليهم} [الحجر: ٨٨]، وقوله: {لا تحزن إن الله معنا} [التوبة: ٤٠] والمنفي كقوله: {فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [البقرة: ٣٨]، وسر ذلك أن الحزن لا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان، قال الله تعالى {إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا} [المجادلة: ١٠]، وقد استعاذ منه النبي ﷺ، فقال «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن»(٢) فهو قرين الهم، والفرق بينهما أن المكروه الذي يرد على القلب، إن كان لما يستقبل أورثه الهم، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مضعف للقلب عن السير، مقتر للعزم(٣).

قرة العين: كما تم تعريفها سابقا مأخوذة إما من البرد، وهو كناية عن السرور؛ لأن دمعة الفرح باردة، ودمعة الحزن ساخنة، وإما من السكن والاستقرار، وقد ورد نفي الحزن مع قرة العين في بعض الآيات التي سبق دراستها، فما العلاقة بين قرة العين والحزن؟

أولاً: الحزن في قصة موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفلهۖ فرجعنٰك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجينٰك من ٱلغم وفتنٰك فتونا ...﴾[طه: ٤٠].

---

(١) لسان العرب، ١١١/١٣، (حرف النون، فصل الحاء).

(٢) أخرجه البخاري، ٣٦/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة)، رقم الحديث: ٢٨٩٣.

(٣) ينظر: مدارج السالكين، ٥٠١/١، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص٣٨.

وقال تعالى: ﴿وقالت ٱمرأت فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذهُ ولدا وهم لا يشعرون ﴾[القصص:٩].

وقال تعالى: ﴿فرددنٰه إلىٰ أمهۦ كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد ٱلله حق ولٰكن أكثرهم لا يعلمون﴾[القصص:١٣].

فحزن أم موسى كان من فراقها لولدها؛ لأن الحزن يكون على شيء مضى، ولا يمكن أن تقرّ عينُ حزين حيث إن سكون العين واستقرارها يُلازم سكون القلب وطمأنينته، ولما قال الله تعالى: { وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا} [القصص:١٠] أي اشتغل قلبها بالهمّ والحزن عليه.

في الآيتين الأولى والثالثة قدم قرار العين على الحزن؛ لأنه لا يلزم من نفي الحزن حصول السرور لها، وأما لما قال:{كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا} [القصص:١٣] كان نفي الحزن لازماً لذلك؛ لأنه متى حصل السرور وجب زوال الغم لا محالة(١)، وعطف نفي الحزن على قرة العين لتوزيع المنة؛ لأن قرة عينها تحصل برجوعه إليها، وانتفاء حزنها بتحقق سلامته من الهلاك ومن الغرق وبوصوله إلى أحسن مأوى(٢).

أما الآية الثانية: فلم يأتِ فيها لفظ (الحزن)، وإنما كان سابقاً في قوله تعالى: ﴿ فإذا خفت عليه فألقيه في ٱليم ولا تخافي ولا تحزنيٓ﴾ [القصص:٧]، فالخوف والحزن يمنعان من سكون العين، واستقرارها، ويدل عليه قوله تعالى ﴿تدور أعينهم كٱلذي يغشىٰ عليه من ٱلموت ﴾ [الأحزاب:١٩]، والفرق بين الخوف والحزن كما قال ابن القيم: "أن الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب، والخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك"(٣).

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، ٢٢/٤٩.

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ١٣/٢٤٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١/١٧٧.

ثانيا: الحزن في قصة أم عيسى عليه السلام:

قال تعالى ﴿فكلي وٱشربي وقري عينا﴾ [مريم:٢٦].

لم يرد (الحزن) في نفس الآية، وإنما في قوله: ﴿فنادىٰها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾[مريم:٢٤].

فحزن مريم -عليها السلام- كان منشؤه حملها بدون زوج، وأنها في حالة ولادة، فتعهدها ربها تبارك وتعالى فوفر لها ما تحتاجه من الطعام والشراب(١)، ورغم أن حزنها عليها السلام لم يكن لفقد الطعام والشراب إلا أن الله تعالى سلاّها بهما على أنهما معجزتان تريهما للناس؛ لتبعد عنها الريبة، بأن لها أمورا إلهية خارجة عن ما أَلِفوه واعتادوه، فكون عيسى عليه السلام بين يديها هو معجزة إلهية خارقة، فلذلك قال: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا} [مريم:٢٦] أي: اطمئني واثبتي ولا يكن هذا الأمر سبباً لحزنك وقلقك(٢).

ثالثا: الحزن عند زوجات النبي ﷺ:

﴿ترجي من تشاء منهن وتـٔوي إليك من تشاء ومن ٱبتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذٰلك أدنىٰ أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما ءاتيتهن كلهن وٱلله يعلم ما في قلوبكم وكان ٱلله عليما حليما﴾ [الأحزاب:٥١]

سبب الحزن عند زوجات النبي ﷺ هو الغيرة الذي وقع بينهن، حتى همّ الرسول ﷺ بطلاق بعضهن، وهذه الغيرة من طبائع النساء التي لا تنفك غالباً، وقد وقعت بين زوجاته ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول أتهب المرأة نفسها؟» فلما أنزل الله تعالى: ﴿ترجي من

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي، ٩٠٦٦/١٥ بتصرف.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري، ١٣/٣ بتصرف.

تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ٱبتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذٰلك ﴾[[الأحزاب:٥١] قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك".(١)

وهذا الحزن والكدر يُبعد عن العين استقرارها، وسكونها؛ لأن القلب مشغولٌ بهذا الأمر، فلما قال الله: {ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ} [الأحزاب:٥١] أي: أمر الله واختياره الذي اختره لنبيه ﷺ أقرب لسرورهن ورضاهن، وإن لم يكن على درجة واحدة، لأن الغيرة كذلك ليست على درجة واحدة.

هذه خلاصة المعاني في الآيات التي اقترن فيها ذكر (الحزن) مع (قرة العين)، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري، ١١٧/٦، (كتاب تفسير القران، باب قوله: "ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء)، رقم الحديث: ٤٧٨٨.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين,, نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،، فلقد من الله علي بإكمال هذا البحث بعنوان (قرة العين في القران الكريم)، وهذه بعض النتائج التي توصلت إليها:

١- التفسير الموضوعي لمعنى في القران الكريم، يعطيه شمولية ودلائل واستنباطات لا توجد في غيره من أنواع التفسير.

٢- قرة العين في القران الكريم ورد ذكرها في سبعة مواضع، كلها في سور مكية ماعدا موضع سورة الأحزاب فهي مدنية.

٣- لم ترد (قرة العين) في قصص القران الكريم إلا في قصتي موسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، وزوجات النبي رضي الله عنهن جميعاً.

٤- وردت (قرة العين) بفتح التاء مرة واحدة في موضع سورة القصص، ﴿ قرت عين لي ولكۖ لا تقتلوه ﴾ لأنها جاءت في هذا الموضع بمعنى الفعل.

٥- طلب قرة العين في الدعاء للأولاد والأزواج، مشروع لأنها صفة جامعة للكمال في الدين والدنيا.

٦- قرة العين في الصلاة لم ترد في القرآن الكريم، بل جاءت في حديث واحد من أحاديث النبي ﷺ، ولوجود معناها في القران الكريم رأيت إضافتها في هذا البحث.

٧- ارتباط قرة العين بالحزن في أغلب المواضع، دليل على أن انشغال القلب واحزنه يمنع من استقرار العين وسكونها.

٨- من معاني معنى قرة العين (البرودة والسكون)، وهذا له أثره الإيجابي على النفس البشرية حيث يجلب السرور والرضا والطمأنينة والهداية.

أهم التوصيات:

توصي الباحثة الباحثين أن يتناولوا آيات "قرة العين في القرآن الكريم"، ويقفوا مع أسرار التعبير بها، وما تحملها من دلالات تربوية، ونكات بيانية، وأن يكشفوا عن آثارها وتأثيرها في حياة المسلمين.

هذا ما استطعت عرضه، وتيسرت أسبابه، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والحمد لله حمداً كثيراً، والصلاة على رسول الله وسلم تسليماً كبيراً.

فهرس المصادر والمراجع

١- القران الكريم.

٢- أسباب نزول القرآن/ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت:٤٦٨هـ)، (المحقق: كمال بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية –بيروت، ط،١٤١١هـ

٣- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان/ محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، (ت: نحو ٥٠٥هـ)، (المحقق: عبد القادر أحمد عطا)

٤- التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ

٥- تفسير الشعراوي/ محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.

٦- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم/ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، (المحقق: أسعد محمد الطيب)، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ

٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢ ، ١٤١٨ هـ

٨- جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (المحقق: أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٩- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، (تحقيق: أحمد البردوني

وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، (المحقق: علي عبد الباري عطية)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ

١١- روضة المحبين ونزهة المشتاقين/ محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٢- زاد المعاد في هدي خير العباد/ محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧, ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

١٣- سنن أبي داود/ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، (المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، بيروت.

١٤- شرح رياض الصالحين/ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

١٥- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

١٦- صحيح الجامع الصغير وزياداته/ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

١٧- عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل/ أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي (ت: ٧٢١هـ)، (حققته

وقدمت له: هند شلبي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٠ م.

١٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري/ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، (ترتيب: محمد فؤاد عبد الباقي).

١٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٢٠- اللباب في علوم الكتاب/ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: ٧٧٥هـ)، (المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض)، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢١- لسان العرب/ محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٢٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، (المحقق: حسام الدين القدسي)، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

٢٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، (المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

٢٤- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح/ أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان المباركفوري (ت: ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية – بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

٢٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل/ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، (المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون)، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ

٢٦- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، (المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي - بيروت

٢٧- معجم مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، (المحقق: عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٨- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٢٩- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، (المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي)، مؤسسة الرسالة، لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٠- الهداية إلى بلوغ النهاية/ أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (ت: ٤٣٧هـ)، (المحقق: جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي)، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣١- الوابل الصيب من الكلم الطيب/ محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، (تحقيق: سيد إبراهيم)، دار الحديث - القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

٣٢- الوجوه والنظائر/ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، (حققه وعلق عليه: محمد عثمان)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ.

الشبكة العنكبوتية:

٣٣- موقع الألوكة الشرعية

http://www.alukah.net/sharia/٥٤٦٩٠

٣٤- ملتقى أهل الحديث

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٣١١٨٧٥

٣٥- ملتقى أهل التفسير

http://vb.tafsir.net/tafsir٣٧٩٣٨/#.VyOpGq١XrIU

References

١- *Asbab Nuzul Al-Quran,* Al-Wahidi Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, ١٤١١ AH.

٢- *Asrar Al-Tikrar fi Al-Quran (Al-Burhan fi Tawjih Mutashabih Al-Quran lima fihi min Al-Hujjah wa al-Bayan),* Al-Kirmani

٣- *Al-Tahrir wa At-Tanwir,* At-Tahir ibn Ashur, Ad-Dar Al-Tunisiyyah li-l-Nashr, Tunis, ١٩٨٤ AC.

٤- *Tafsir Ash-Sharawi*, Ash-Sharawi, Akhbar Al-Yawm Press.

٥- *Tafsir Al-Quran Al-Azim*, Ar-Razi, Maktabat Nizar Mustafa Al-Baz, Saudi Arabia, ٣rd ed., ١٤١٩ AH.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	**المقدمة**
	التمهيد
٢	**المبحث الأول: قرة العين في قصص الأنبياء عليهم السلام**
٣	المطلب الأول: قرة عين أم موسى عليه السلام.
٤	المطلب الثاني: قرة عين مريم أم عيسى عليهما السلام
٥	المطلب الثالث: قرة أعين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم
٦	**المبحث الثاني: قرة العين، دلالات وهدايات**
٧	المطلب الأول: مشروعية طلب الدعاء بقرة العين.
٨	المطلب الثاني: قرة الأعين في الجنة
٩	المطلب الثالث: قرة العين في الصلاة
١٠	المطلب الرابع: الحزن وعلاقته بقرة العين.
١١	**الخاتمة والنتائج**
١٢	**فهرس المصادر والمراجع**